نحن فى حرب
مع الفقر والمرض والجوع

ينفر بعضنا من القيود القليلة التى تحاول الحكومة أخذنا بها فى هذه الأيام المضطربة ، سواء أكانت قيودا مالية أم قانونية ، ويحتج هذا البعض على هـذه القيود التافهة بأننا لسنا فى حالة حرب ، وأن الأمم إنما لجأت إلى بعض الضرائب الاستثنائية وبعض القيود القانونية فى الاستهلاك وسواه لأنها تواجه حالة حرب نحن منها ناجون والحمد لله ! .

والواقع أننا فى حالة حرب فعلية ، ولكن مع أعداء أشد فتكا من المغيرين ؛ وأمام أدوات للدمار أفظع أثرا من الطيارات والقنابل والمدفعية والغازات وكل ماعرف من أدوات القتال البرية والبحرية والجوية حتى الآن .

نحن فى حرب حقيقية مع الفقر والمرض والجهل والانحلال الخلق والتفكك الاجتماعى وحفنة أخرى من الأدواء والعلل الجسمية والعقلية والخلقية ، تنبع من الفقر والمرض والجهل ونحن فى حاجة إلى تعبئة جميع مواردنا وجهودنا وتفكيرنا لمقاومة هذه الأعداء ، ولإعلان حالة الطوارئ الدائمة حتى نقف أمام وسائلها الفتاكة بعض الوقوف .

وهل يستطيع أى جيش مغير أن يصنع بنا مايصنع جيش الفقر الأسود الكالح الذى نعانيه بوصفنا أمة فى الثروة القومية ، وبوصفنا أفرادا فى الثروة الشخصية .

إن مجموع الديون التى للأجانب على المصريين تكاد تستغرق نصف قيمة الثروة العقارية ، ثم إن متوسط الدخل الفردى لايرتفع على عشرة جنيهات فى العام ؛ وهذا يصور الفقر القومى الذى نرزح تحته ونحن نوهم أنفسنا بأن مصر غنية متعينين فى ذلك خرافة قديمة لاتصبر على الحساب وتكذبها الأرقام كل التكذيب .

أما الفقر الشخصى فهو أشد كثيرا من الفقر القومى ؛ لأن المتوسط لايمثل الحقيقة الفردية . ذلك أن سبعة فى المائة من السكان يملكون ٨٠ فى المائة من مجموع الثروات ؛ و٩٣ فى المائة من السكان يملكون ٢٠ فى المائة منها . ومعنى هذا أن هؤلاء الثلاثة والتسعين يهبط دخلهم إلى ربع المتوسط العام أى إلى ثلاثة جنيهات فى العام ، أى خمسة وعشرين قرشا فى الشهر .

فهل هذه الحالة لاتستحق أن نعد أنفسنا فى حالة حرب مع الفقر القومى والفردى ، ولاتدعونا إلى إعلان حالة الطوارئ ولو لمدة عشرين عاما نوجه فيها كل مجهوداتنا وأفكارنا الشخصية والعامة ، الأهلية والحكومية ؛ لمقاومة هذا العدو المقيم داخل الجدران حتى نزحزحه قليلا عن الاعتاب ؟

ألا نوفر كل مجهوداتنا لتوفير القوة المحركة فى البلاد لتنمو الصناعة وتنتشر ؛ وللتجديد فى وسائل الزراعة وتصريف المحصولات لتزداد الغلة ويرتفع الدخل العام ؟ ثم ألا نوفر كل مجهوداتنا وتضحياتنا للتخفيف قليلا عن كاهل الثلاثة والتسعين المثقلين بالأعباء ليتنفسوا قليلا ويحيوا وينتجوا ويستهلكوا فيساعدوا على الرخاء العام .

وهذه الحالة الشاذة ألا تعد حالة حرب تقتضى بعض الضرائب الاستثنائية على فريق الرابحين لتوفير المرونة الكافية لميزانية ، ولمعاونة الفريق الأعظم من السكان بالتخفيف عنهم بعض التخفيف ، وهل تستطيع أية حرب أن تواجهنا بأفدح مما تواجهنا به هذه الحال ؟

وهل يستطيع أى جيش مغير أن يفتك بنا كما يفتك جيش المرض المختلف الأنواع والأشكال والذى يخص الفرد الواحد منه ثلاثة أنواع مختلفات .

إن عدد المصابين بالرمد الحبيبى نحو ٩٠ ٪ من السكان وعدد المصابين بالبلهارسيا نحو ٧٥ ٪ وبالانكلستوما نحو ٥٠ ٪ وإن نسبة الوفيات العامة هى ٢٧ فى الألف تقريبا أما فى الأطفال فنحو ٢٠ ٪ أى الخمس فى كل عام .

ولم يحدث فى أية حرب عالمية أن بلغت نسبة القتلى هذا الحد ، فنحن فى حالة حرب حقيقية أشد هولا من جميع الحروب التى وعاها التاريخ ، ونحن فى معركة دائمة مع الفناء الذى يحصدنا حصدا بمنجله الحاد ، ويترك من يتركه منا للمرض الذى يعجزه إلى حد ما عن الانتاج .

فهل هذه الحالة لا تستحق أن نعد أنفسنا فى حالة حرب ، وأن نحشد كل مواردنا وجهودنا ، ونخصص كل تضحياتنا وأعمالنا لمكافحة المرض والموت ، بمقاومة الفقر أولا وهو علة العلل ، وبالعمل على توفير شىء من الغذاء الصالح للطبقات الفقيرة العاملة ، وشىء من وسائل الوقاية والعلاج الصحية بصفة جدية القصد منها العمل الحقيقى لا مجرد الرسميات كما هى الحال فى بعض المستشفيات المجانية التى يهرب منها المرضى ويفضلون عليها المرض والموت بعيدا عن عذاب المرضين والممرضات !

والقرية التى تمدنا باليد العاملة والمحصول الوفير . ألا تستحق الإنقاذ وتستأهل التجديد وتوفير الماء الصالح للشرب بجوار الماء الصالح للرى . ولو اقتضى ذلك منا بعض التضحيات وبعض الضرائب الاستثنائية على القادرين ، كما تصنع الأمم فى حالة الحرب مع الأعداء المغيرين ؟

وهل يستطيع أى جيش مغير أن يشل قوانا ويعطل إنتاجنا ، كما يفعل معنا جيش الجهل الذى يحاربنا بجراثيم الأمية وغازاتها الخانقة ، ويعطل جسم الأمة فى القرية عن الحركة كما يريدها الرأس المفكر المتعلم فى المدينة ، ويجعل أمرنا عجبا : رأس حى يتحرك ، وجسم ميت لا يطاوعه على الحركة !

إن أظهر مظاهر التعطيل وشل الحركة التي يسببها هـذا الجهل أن معظم مشروعات الاصلاح لا يلقى استجابة من السكان ، لأنهم لا يعرفون فائدته ، ومن جهل شيئا عاداه كما يقولون فى الأمثال ، فالطب العلمى لا يجد من يثقون به ، كالطب الخرافى ، والماء النقى — حين يوجد — قد يتركه الأهلون إلى الماء الكدر بحكم الخرافات والعادة المستحكمة ، وكثير من التشريعات يعطل أو يؤجل لان الحالة العقلية تجعل تنفيذه صعبا أو مستحيلا .

أليس هذا هو الشلل النصفى — بل الكلى — الذى يعوق عن الحركة حين يريدها الرأس المفكر ، فيذهب التفكير ويذهب النشاط العقلى أدراج الرياح !

فهل هذه الحالة الشاذة لا تستدعى أن نعد أنفسنا فى حالة حرب ، وفى ظروف استثنائية شاذة نعبئ فيها مواردنا المالية ومجهوداتنا الفردية والجماعية لمنازلة الجهل المعشش فى الأدمغة وإزالة غشاوة الأمية عن الأبصار ، ولو اقتضى الأمر بعض الضرائب الاستثنائية : الضرائب المالية والفكرية ؛ فعلى كل قادر ضريبة من نوع ما يقدر عليه ، وعلى الدولة أن تجند كلا فيما يستطيعه ؛ وليس لإنسان أن يتخلف عن التجنيد الإجبارى فى هذا الميدان .

وهل نستطيع أى جيش مغير أن يضعف قوانا و يهبط بمستوانا أكثر مما يضعف ويهبط جيش الانحلال الخلقى والتفكك الاجتماعى الذى نعانى هجماته كل يوم وليلة — بل كل لحظة — على صفوف الأسرة وروابط البيت ، وعلاقات الأفراد والهيئات .

إن روح الفردية والأنانية وعدم المبالاة والاستهتار بالواجبات والهرب من التبعات تفتت بناءنا الاجتماعى ، وتحيلنا أفرادا متفرقين لا أمة ذات وجهة واحدة واجتماع وثيق .

و إن الانحطاط الخلقى والانحلال النفسى ليهبطان بنا إلى مرتبة دون المرتبة الانسانية بكل تأكيد ، ويجعلان آفاقنا فى الحياة قريبة لا يزينها مثل أعلى ولا هدف مقصود .

و إن الأسرة المصرية لتعانى تفككا لا نظير له بين الجيل الماضى والجيل الحاضر ، نتيجة التمرد والضلال والفساد وتوزع الأفكار والجهود .

و إن البيت المصرى لينهار بالطلاق والفساد ، ثم لا يبنى غيره من جديد بسبب الإعراض عن الزواج وحياة التبذل والتشرد التى يحياها كثير من الشبان وكثير من الشواب .

و إن لطفولة المصرية لتعانى أشد الويلات من التشرد والبؤس والإهمال والفساد الخلقى والفقر والمرض ، وهى بذرة المجتمع المريض فى مستقبل الأجيال .

و إن فساد الذمم وموت الضمائر وروح الاستغلال الوضيع ، والمقامرة والمتاجرة بالمناصب والأعمال ، لتتفشى فى جميع الأوساط والبيئات وتنذر بالانهيار من الأساس .

فهل هذا كله لا يقتضى أن نعد أنفسنا فى حالة حرب ، وأن نتجمع أمام الخطر ، ونتساند فى وجه الكارثة و يبذل كل فرد منا وكل هيئة ما يستطاع بذله عن طواعية واختيار ،

وإلا أعلنت الدولة حالة الطوارئ ودفعت الجميع الى الجهاد وفرضت عليهم التكاليف فى نظام شبيه بالنظام العسكرى فى كل اتجاه .

نحن فى حالة حرب : على هـذا يجب أن نوطد قلوبنا ونقنع ضمائرنا . فليس لفرد أن يشكو مما تفرضه هذه الحرب من تكاليف ، وما تلقيه عليه من واجبات .

وشعورنا بالموقف على هـذا النحو خليق أن يوقظ ضمائرنا ، ويهون علينا المشقة التى تؤديها كضريبة للقدرة على الأداء . ولو استطعنا أن نشعر كل فرد فينا بحالة الحرب الدائمة التى نعانيهـا ، وحالة الطوارئ الطويلة التى سنقضيها ، لارتفع مستوى إحساسنا ودست الآدمية فى أوصالنا وواجهنا الخطر كما يواجهه الأحياء بالتجمع والمقاومة والاستعداد .

إننا نهبط ونهبط كل يوم : فى تفكيرنا وفى إحساسنا وفى أخلاقنا وفى علاقاتنا الشخصية والجمعية ، وفى روابطنا الفردية والعائلية والحزبية ، لأننا لا نستشعر الخطر ولا نحس بالكارثة . والأمن والاطمئنان يخدران الجسم والعقل والنفس فى كثير من الأحيان . أما الخطر فينبه الغرائز والحواس للدفاع ، وينشط الفكر والروح للكفاح .

فلنطلق صيحة الخطر إذن ، وليدوّ نفير الإنذار .

بيان

تحقيقا لغرض وزارة الشؤون الاجتماعية من الإرشاد الاجتماعى ونشر الدعوة إلى الاصلاح فى أوسع نطاق ، وتمكين كل من يريد مسايرة روح النهضة الاجتماعية من التثقيف الضرورى لمساهمة فى هذه الحركة المباركة ، فقد رأت الوزارة توزيع هذه المجلة بالمجان ابتداء من هـذا العدد لمن ترى فيهم المعاونة على تحقيق ذلك الغرض .

وهى ترسـل للمشتركين كالمعتـاد حتى انتهاء اشتراكهم ثم توالى الوزارة ارسالها إلى حضراتهم بعد ذلك بالمجان .